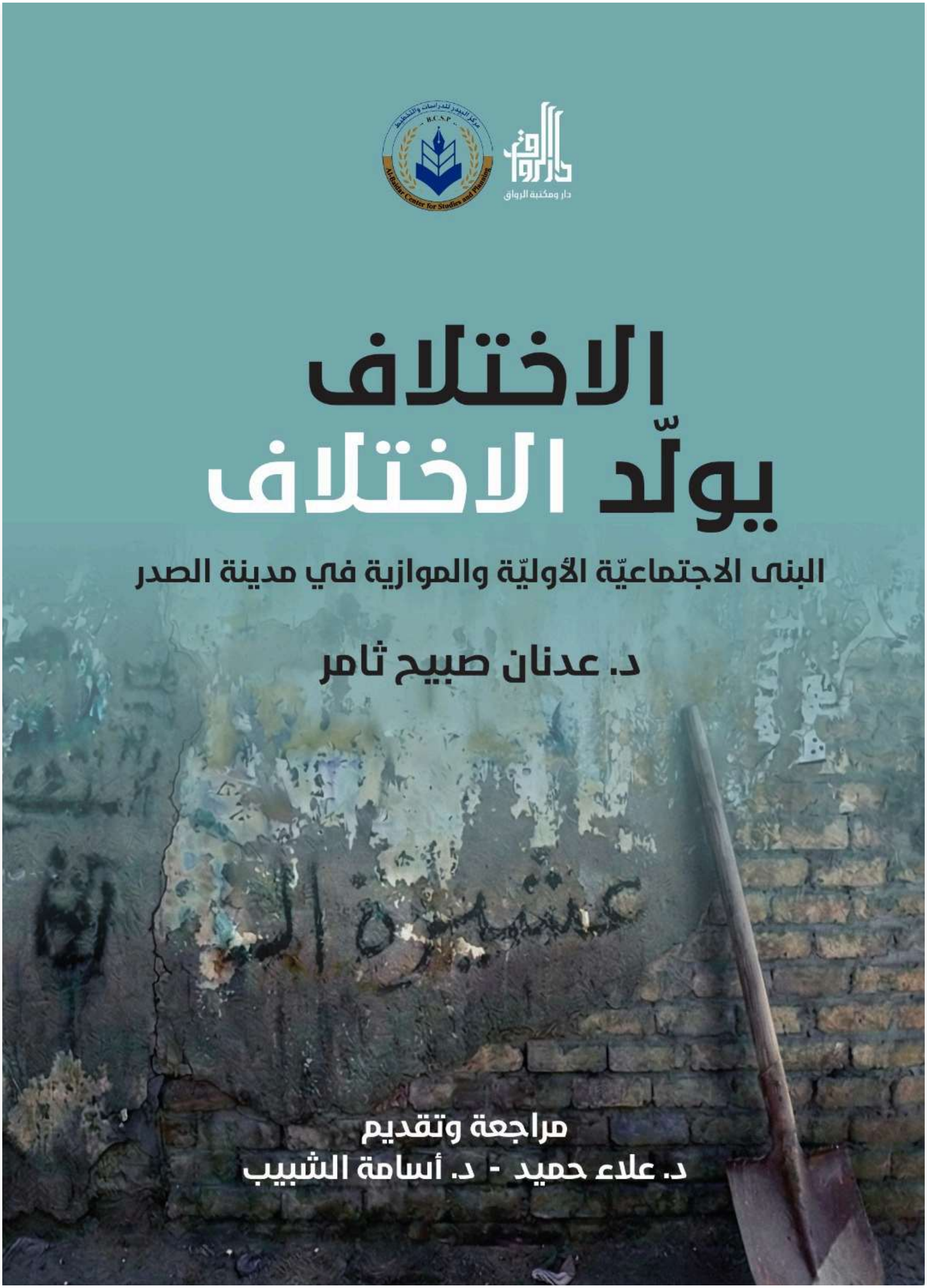
دار ومكتبة الرواق
الاختلاف
يولّد الاختلاف
البنى الاجتماعيّة الأوليّة والموازية في مدينة الصدر
د. عدنان صبيح ثامر
مراجعة وتقديم
د. علاء حميد - د. أسامة الشبيب

تحميل الفهرس

كتاب دار الرواق

الاختلاف يولد الاختلاف (البنى الاجتماعية الاولية والموازية في مدينة الصدر)

مؤلف

عدنان صبيح ثامر

١٣ مايو ٢٠٢٦

الملخص

إنَّ الأصول الفلّاحيّة لأبناء مدينة الصّدر، بما تمتلكه تلك البيئة من قدرة على التّكيّف، ومرونة في التّكوين والتّشكيل، سمحت ببروز بناءات جديدة هدفها حماية أفرادها، في حال ضعفت قدرة البناء التّقليديّ على توفير تلك الحماية، وهذا هو الفارق بين الأصول الفلّاحيّة والأصول البدويّة؛ إذ يُغيّر البدويّ المكان ولا يُغيّر البناء؛ لأنَّ البناء يمثّل ثيمته الأساسيّة، بينما يمتلك البناء لدى الفلّاح قابليّة التّغيّر والتّكيّف؛ لأنَّ المكان ثيمته الأساسيّة.

المقدمة

تقوم المجتمعات المحليّة برسم صورتها ونمط علاقاتها العامّة من خلال مجموعة من الآليات (الميكانزمات) التي تضيق وتتسع استناداً إلى درجة تمثيل تلك العلاقات للمجتمع ومدى ارتباطها بأهدافه، وتساعد هذه الآليات على صياغة سياق مميّز يبقي تلك المجتمعات حيّة ومكتفية ذاتياً، سواء عبر بُناها الأصيلة أو عبر بُنى تكيُّفية تضطرها الحاجة إلى إنتاجها.

ولا يمكن فهم مجتمع معين من غير الإحاطة بالعناصر المكونة له؛ فطبيعة أيّ مجتمع هي انعكاس لعناصره، وهذه الأجزاء (العناصر) هي التي تصنع سياقه الاجتماعيّ وبنيته العميقة التي تُسيّره، وبمجرد التعرف على تلك العناصر، تصبح طبيعة العلاقات الداخليّة والخارجيّة واضحة ومُفسَّرة.

وبطبيعة الحال، عند التوجه لدراسة (مدينة الصدر) في بغداد بوصفها مجتمعاً محليّاً، يحمل قدراً من التعقيد؛ يتمثّل في أنّ الجماعة في المدينة هي جماعة اجتماعية ذات تركيبات دينيّة تتوائم مع المجتمع المحليّ، وتتكيف مع عناصرها الدينيّة لتنتج بناءات موازية لبناءات الجماعة، بل ومتناقضة معها أحياناً.

وبما أننا نتحدث عن مجتمع مُركّب بين الجماعة الدينيّة والجماعة الاجتماعيّة، فإنّ فرص التكيف وإنتاج تلك البُنى الجديدة لم يقتصر على البنية الاجتماعيّة فحسب، بل شمل البناءات جميعها، وأبرزها الدينيّة التي لم تكن بمعزل عن فرص التكيف، إذ تسعى البنية الدينيّة إلى أن تكون أحد عناصر الحماية، فتُنتِج بُنى ترتبط بالمجتمع وتوفر له أدوات يستطيع من خلالها النسق الدينيّ أن يكون بديلاً عن الأنساق الأخرى كالقرابية أو السياسية.

ولذلك، اتجهت الدراسة إلى فهم القيم الاجتماعية في مدينة الصدر عن طريق البؤرة الثقافية(Cultural Focus)، والبؤرة الثقافية بحسب العالم الأنثروبولوجي (هيرسكوفيتز)، هي ميل اهتمامات شعب معين إلى التركز على مظهر خاصّ من مظاهر ثقافته؛ لأنّها تهتم بإبراز بعض النظم أكثر من غيرها، وتهتم الدراسات التي تتناول الثقافة بكاملها بدراسة بؤرها الثقافيّة، كونها محط التغير الاجتماعيّ، خصوصاً في المجتمعات التي تشهد تغيراً مستمراً، أو المجتمعات التي لا تضع حاجزاً أمام محاولات التغيير، إذ يتم تغيير بناءاتها من خلال بؤرها الثقافية.

فقد يواجه الباحثون في دراستهم الاجتماعيّة مشكلة عدم وضوح بعض العادات في الممارسات اليوميّة، وعناصره المحفزة للتغيير؛ إذ تتوائم الممارسات العادية مع تسيير البناءات بطريقة متوازنة، لا تنغصها الاحتكاكات المرتبطة بالتغيير، أو مشكلات تغيير هويتها، بينما يمكن الوقوف على العادات المهمّة من خلال البؤر الثقافيّة التي تمثّل الاحتكاك الأعلى والاختبار المستمر للهوية الاجتماعيّة، فهي مصد التغيير لهيمنتها على السياق الاجتماعيّ من جهة، وبوابة تغييره من جهة أخرى.

إنّ هيمنة البؤر الثقافيّة في المجتمع المحليّ تتيح الممارسات فيه إبراز العادات والقيم وبصورة واضحة، وتعطيه القوة في تشكيل تلك العادات وفق رؤية تتكون داخل البؤرة الثقافية يتطلبها الاحتكاك المستمر مع المجتمع داخليّا، وخارجيّا، ومن أبرز تلك التشكيلات هو إنتاج بناءات قائمة على

أساس تكيف البؤرة بوصفها معبرة عن المجتمع، ويتم قبولها مجتمعيا بوصفها صادرة من البؤرة الثقافيّة.

وعند الحديث عن الانساق المهمّة المشكلة للبناء الاجتماعيّ في مدينة الصدر فإنّ البنى القرابية تمثّل النسق الأهمّ إلى جانب النسق الدينيّ والاقتصاديّ ثم يشارك النسق السياسيّ في الارتباط وإنتاج علاقات متوازنة مع الانساق الأخرى.

لقد سمحت الأصول الفلاحيّة لأهالي مدينة الصدر — بما تمتلكه تلك البيئة من قدرة على التكيف ومرونة في التكوين والتشكيل— ببروز بناءات جديدة، وهذا هو الفارق الجوهريّ بين أبناء البيئة الفلاحيّة وأبناء البيئة البدويّة؛ حيث يغير البدويُّ المكان ولا يغير (البناء)؛ لأنّه يمثّل الثيمة الأساسيّة له، بينما يمتلك البناء لدى الفلاح قابلية التغيير والتكيف؛ لأنّ الثيمة الأساسيّة لديه هي (المكان).

وبما أنّ الاستقرار أساسه الحماية، وبالعودة إلى الأصول الفلاحيّة، نجد أنّ الأفراد يبحثون عن الحماية داخل البُنى الاجتماعيّة؛ إذ إنّ الهدف الجوهريّ لهذه البُنى هو توفير الأمن لأفرادها، وإذا ما ضعفت قدرة البناء التقليديّ على توفير تلك الحماية، ترتفع فرص التكيف لإنتاج بنية جديدة تتبنى الأهداف ذاتها، ولكن بوسائل وأشكال مستحدثة.

وتسعى البُنى القرابية إلى إنتاج بناءات موازية لمعالجة انفراط عقد أبنائها، لتمثّل هذه البناءات الشكل الجديد للمدينة المتغيرة، والساعية إلى تحولات تحمل المعاني الأولى لكن بقوالب أكثر توافقاً مع الأوضاع المتجددة، وينطبق الامر على البؤر الدينيّة التي يمثّل المسجد الجانب المركزيّ فيها، فهناك تُرسم العلاقات داخل النسق الدينيّ وتوزيع العلاقات تسيرها المنافسة مع البناءات الأخرى (القرابيّة والسياسيّة)، إذ تتفرع تلك العلاقات نحو مفاصل داخل البنى الاجتماعيّة الأخرى، للحصول على أدوار أكبر، بينما تحرك العادات الجانب الاقتصاديّ، وتواجه العادات الازمات الاقتصاديّة بإعادة تشكيل الأسواق، لذلك تتعرض الأسواق كبؤرة اقتصاديّة في مدينة الصدر إلى تغيّر مستمر، يميل إلى التوازن ما بين الازمات التي يوجهونها وبين عاداتهم التي يجتهدون في المحافظة عليها، وفي الجانب السياسي تواجه مدينة الصدر وضعا مختلفا إذ تبدو العلاقة بين النظام السياسيّ والمجتمع المحلي (التقليديّ) علاقة مركبة قائمة على المصالح التي يوفرها النظام السياسيّ، وفي المقابل فإنّ النظام السياسيّ يحتاج إلى اعتراف من ذلك المجتمع.

وعلى ذلك ترتسم تلك العلاقة من خلال عدد من الإجراءات يحاول فيها النظام السياسيّ تعزيز وجوده أو علاقاته مع المجتمع، وأبرزها: (التنشئة السياسيّة، الطقس السياسيّ، الفعاليات السياسيّة، التواصل السياسيّ، الفاعلون السياسيون، التنمية السياسية، القوة والنفوذ السياسيّ).

وعلى الرغم من أنّ تلك الإجراءات مترابطة إلى حدّ كبير، وأن ضعف إحداها يحرم النظام السياسيّ من ممارسة الأخريات، إلا أنّ البحث في تلك الإجراءات يوضح العلاقة بين النظام السياسيّ والمجتمع المحليّ في مدينة الصدر.

وتأسيساً على ما تقدّم تحاول الدراسة فهم البُنى الاجتماعيّة داخل مدينة الصدر التي من خلالها يمكن تفسير العلاقات التي تُسيّرها، وقيَمها وعاداتها، والمحركات الكامنة وراء تلك القيم والعادات، عبر الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة كأدوات عمل ميدانيّ للأنثروبولوجيا، ونظراً لكبر المدينة وتعقيد تعاملاتها المتداخلة بين الدين والعشيرة والاقتصاد، فلا يمكن للمرء أنْ يقف على سلوكيّات معينة ويربطها ببنية واحدة محددة، فضلاً عن ذلك فإنّ هناك عادات لا تظهر بصورة مستمرة؛ لعدم

وجود المحفزات اليوميّة، فهي مُهملة في الحياة اليوميّة إلا أنّ لها شأناً كبيراً في أحداث أو فعاليات معينة.

نشأت فكرة هذا الكتاب حين التقت رغبة (مركز رواق بغداد للسياسات العامة) و(مركز البيدر للدراسات والتخطيط) في دراسة المجتمع العراقي، واستقصاء التحولات التي طرأت عليه نتيجة المتغيرات السياسية والاقتصادية والديموغرافية؛ وقد تزامنت هذه الرغبة مع انهماكي كباحث في إيجاد مقاربة لتفسير التحول في المواقف والأفكار الاجتماعية، وكيفية التعاطي المجتمعي مع الأحداث عموماً، فضلاً عن رغبتي في العودة إلى مدينتي (مدينة الصدر)، التي أحاول الرجوع إليها كباحث شاهدٍ على سياقاتها السابقة، وراصدٍ للتغيرات التي طالتها.

اتسقت هاتان الرغبتان في الاتفاق على مشروع بحثي يتناول البنية الاجتماعية لمدينة الصدر. وقد انشغل في متابعة المشروع ومناقشة بياناته وكيفية توظيفها في تحليل بنية المجتمع المديني -عبر جلسات مستمرة ومكثفة- كل من الدكتور أسامة شبيب، مدير مركز البيدر، والدكتور علاء حميد، عضو مجلس الإدارة في مركز رواق بغداد؛ لذا أتقدم لهما بوافر الشكر والثناء لجهودهما الحثيثة في المتابعة، وحرصهما على إنجاز العمل بصورة تامة، ومراجعته بدقة ودأب كبيرين.

كما لا يمكن إغفال الجهود المبذولة من الزملاء الباحثين الذين أسهموا في إنتاج هذا العمل، كلٌّ من زاويته؛ وأخص بالذكر زميلي الدكتور كرار ناصر، أستاذ الأنثروبولوجيا الاقتصادية في الجامعة المستنصرية، الذي وظف خبرته وكان عوناً في فهم النسق الاقتصادي للمدينة، فضلاً عن مشاركته في الزيارات الميدانية للأسواق ومناقشة العلاقات الاقتصادية فيها. وكذلك الدكتور علي شنان، أستاذ الأنثروبولوجيا الدينية في جامعة بغداد، الذي قدم المشورة والعون سواء بالمصادر أو في فهم السياقات الدينية. والشكر موصول للدكتور مهدي جبار، أستاذ الأنثروبولوجيا، الذي استعنت به كثيراً في مسار المشروع متابعةً ونقاشاً.

أما الزميل الدكتور أحمد قاسم مفتن، متخصص دراسات المنهج في علم الاجتماع بجامعة بغداد، فقد كانت له مساهمة خاصة؛ بدءاً من استماعه المستمر لتطورات المشروع، وصولاً إلى إفادتي بخبرته في التعامل مع البيانات الاستطلاعية المخصصة للثقافة السياسية، إذ كانت آراؤه تختصر المسافات وتحسم الجدل في كيفية التعاطي مع الأرقام الإحصائية.

إنَّ ثمة أصدقاء يستحقون أن يُفرد لهم حيّزٌ خاص من الشكر والعرفان؛ أحدهم كان يراقب العمل ويدفعني نحو الإنجاز عبر قراءة الفصول وتقديم ملحوظاته القيمة، وهو الدكتور حسن سوادي، أستاذ اللسانيات في جامعة واسط. وكذلك الدكتور هاني كنهر، الذي تفضل بتصحيح الكتاب ولغته، وتَحَمَّل برحابة صدر كثرة التعديلات المستمرة من قِبلي.

وفي الختام، أجدد شكري وامتناني لجميع من ورد ذكرهم، والذين لم يكونوا مجرد داعمين، بل شركاء حقيقيين في هذا المشروع؛ حيث يحدونا الأمل جميعاً في أن يكون هذا العمل منطلقاً للاستمرار في إنجاز دراسات اجتماعية معمقة تتناول مدناً عراقية أخرى، سواء في العاصمة بغداد أو في بقية المحافظات.

اصدارات أخرى

نشرة الرواق

نشرة تموز في مركز رواق بغداد للسياسات العامة

بواسطة مؤلف غير محدد

بالانفوكرافيك ... أنشطة مركز رواق بغداد للسياسات العامة لشهر تموز 2026، والتي تتضمن أبرز نشاطات المركز ، وملخصات لأهم الدراسات والسياسات إلى جانب تسليط الضوء على أبرز القراءات والإصدارات المعرفية التي نشرها المركز خلال هذا الشهر.

٢٩ يوليو ٢٠٢٦

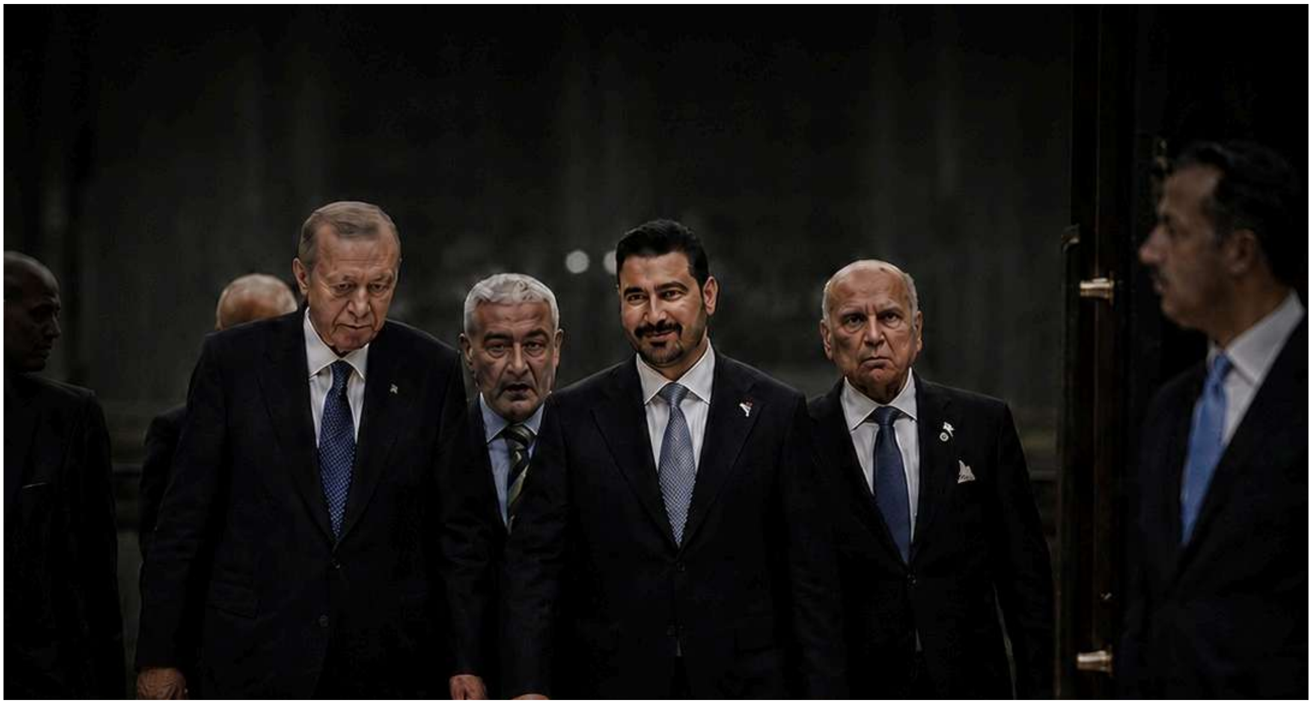

مقالات

أجندة زيارة رئيس الوزراء الى تركيا: أوليات المرحلة والشراكة الاستراتيجية

بواسطة محمد بهجت ثامر

زيارة رئيس الوزراء العراقي إلى تركيا تمثل فرصة استراتيجية واستثنائية لإعادة صياغة العلاقات العراقية-التركية بما يحقق المصالح الوطنية العراقية، عبر معالجة الملفات الحيوية (النفط، المياه، طريق التنمية، الاقتصاد، وأمن الحدود) من خلال شراكة قائمة على المصالح المشتركة.

٢٩ يوليو ٢٠٢٦

others

مدينة الصدر وصدمة الانتقال الحضري

بواسطة محمد غازي الأخرس

أدى الانتقال الحضري لسكان مدينة الصدر من البيئة الريفية إلى البيئة الحضرية إلى إحداث تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والثقافية، تمثلت في إعادة تشكيل العلاقات العشائرية والدينية وظهور أنماط جديدة من التنظيم الاجتماعي والهوية المحلية.

٢٨ يوليو ٢٠٢٦

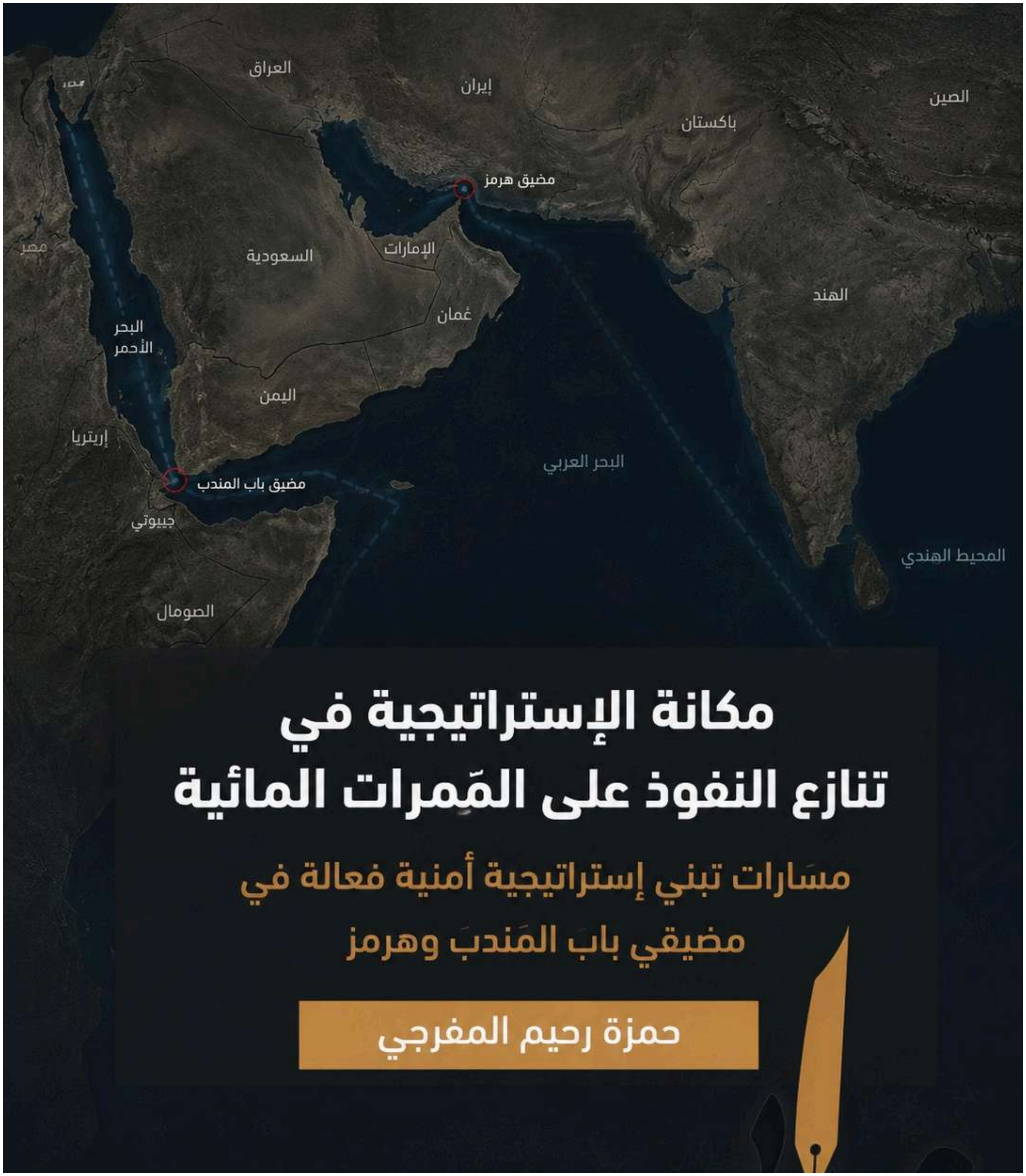

مقالات

مكانة الإستراتيجية في تنازع النفوذ على المَمرات المائية : مسارات تبني إستراتيجية أمنية فعالة في مضيقي باب المندب وهرمز

بواسطة حمزة رحيم المفرجي

أن السيطرة على الممرات المائية لا يعتمد على القوة العسكرية وحدها، بل على استراتيجية مرنة توظف القدرات والتحالفات والبدائل والخطط التنفيذية لمواجهة التهديدات المتغيرة.

٢٧ يوليو ٢٠٢٦

عرض جميع الاصدارات

اشترك في نشرتنا البريدية

احصل على آخر الأخبار والمقالات والفعاليات مباشرة في بريدك الإلكتروني

الاسم الكامل

البريد الإلكتروني

اشترك الآن

رواق بغداد

مركز رواق بغداد هو مركز أبحاث سياسات ونشر ومشاركة مدنية تأسس عام 2019 في العراق. يركز على سد الفجوات المعرفية المحلية.

روابط سريعة

اتصل بنا

من نحن

إصداراتنا

سياسة الخصوصية

شروط الخدمة

معلومات الاتصال

الهاتف:
+964 783 577 4086
البريد الإلكتروني:
info@rewaqbaghdad.org

تابعنا

© 2026 رواق بغداد. جميع الحقوق محفوظة.